مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn : 2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العدد: 02 (2023)، ص: 893-912

ملامح التجديد في التفسير عند التواتي بن التواتي من خلال كتابه " الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"

Features of innovation in interpretation according to Al-Tawati bin Al-Tawati through his book "Al-Durr Al-Thameen fi Tafsir Al-Kitab Al-Mubeen"

عبد الرحيم سفيسيفي[1]، باي بن زيد[2]

[1] جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، abderrahim.sefisifi@univ-tlemcen.dz

[2] جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر ، Benzid.bey@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/30 تاريخ القبول: 2023/09/10 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: يتناول هذا المقال جانب التجديد في تفسير الدر الثمين للتواتي بن التواتي، إذ لا يخفى على أحد الحاجة إلى الجديد في مسايرة حوادث الناس ومستجداتهم، خاصة في ميدان الدراسات القرآنية التي على رأسها علم تفسير القرآن الكريم. فمازالت الحركة التفسيرية منذ القديم تمد المكتبة الإسلامية بالتفاسير التي تبين مراد الله تعالى، حتى شملت هذه الحركة عصرنا الحديث، ولم يغفل علماؤنا عنصر التجديد تماشيا مع مسلمة عطاء القرآن الذي لا ينفد، والذي يُصلح كل زمان ومكان، ومن هنا يأتي هذا المقال للكشف عن ملامح التجديد من خلال تفسير التواتي بن التواتي . وقد وسمته ب: ملامح التجديد في التفسير عند التواتي بن التواتي من خلال كتابه " الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين ."

الكلمات المفتاحية: التواتي ، التجديد، التفسير، الواقع، معالم.

Abstract: This article deals with the aspect of renewal in the interpretation of the precious Durr Al-Tawati bin Al-Tawati, as it

is not hidden from anyone the need for new in keeping pace with people's accidents and their developments, especially in the field of Quranic studies, on top of which is the science of interpretation of the Noble Qur'an. The explanatory movement since ancient times has continued to provide the Islamic library with interpretations that show the will of God Almighty, until this movement included our modern age. The renewal through the interpretation of Sheikh Al-Tawati bin Al-Tawati, She characterized it as The contribution of Features of innovation in interpretation according to Al-Tawati bin Al-Tawati through his book "Al-Durr Al-Thameen fi Tafsir Al-Kitab Al-Mubeen"

Keywords: Touati, renewal, interpretation, reality, milestones.

***المؤلف المرسل:** عبد الرحيم سفيسيفي

1. مقدمة

إن التجديد مطلب منشود وسنة ماضية على مر العصور، حيث ينسحب على مختلف العلوم الشرعية التي من ضمنها تفسير القرآن الكريم. وإذا رمنا تجديد التفسير فالقصد من ذلك هو إعطاء معان وفهوم جديدة لآيات القرآن تتماشى مع مقتضيات واقع الناس وظروف عيشهم. وما فتئ العلماء يكتبون في تفسير القرآن منذ القدم، حتى جاء عصرنا الحديث فتوالت التآليف وتكثرت، واشتهر منها الكثير. ولعل من أبرزهم عالم الجزائر ومفسرها الكبير التواتي بن التواتي في تفسيره "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين". وتزداد أهمية هذا التفسير في الجانب التجديدي، في كون أن التواتي قد ألقى تفسير القرآن الكريم على الناس من خلال الدروس المسجدية، وهو ما يعكس السمة التجديدية للتفسير من حيث قرْبُه من واقع الناس، والوقوف العيني على ضرورة تصحيح الخلل فيما يعتقدونه أو يمارسونه من أخلاق ومعاملات . ومن هنا جاء هذا المقال موسوما:

ملامح التجديد في التفسير عند التواتي بن التواتي من خلال كتابه " الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"

وعليه فالإشكال المطروح هو: من هو المفسر التواتي؟ وما مدى إسهامه في تجديد العملية التفسيرية؟ وما مظاهر هذا التجديد في تفسيره؟

2. التعريف بالتواتي بن التواتي وتفسيره" الدر الثمين":

1.2 التعريف بالتواتي بن التواتي: هو التواتي بن التواتي من أهل الأغواط الأصليين الجزائريين. أخذ القرآن الكريم بالزاوية الرحمانية بالأغواط عن الشيخ كويسي المبروك وتعلم بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم التحق بجيش التحرير، وبعد الاستقلال أعاد حفظ القرآن عن الشيخ غالم محمود وأخذ الفقه وأصوله عن الشيخ أبي بكر الحاج عيسى وبالتحديد اتصل بهذا الشيخ الجليل ، وأخذ عنه كتاب الموافقات للشاطبي، وبدائع الفوائد ومدارج السالكين لابن القيم، وكتاب المحصول في علم الأصول للرازي. وذلك بعد التخرج من الجامعة. وتعتبر هذه الفترة التي قضاها في صحبة الشيخ أبي بكر الحاج عيسى الأغواطي طالبا للعلم أهم فترة في تكوينه العلمي، وكان له أثر كبير في حياته العلمية، وفضل لا ينسى ... وكان للشيخ طريقة فريدة من نوعها، إذ كان يطالبه بالحفظ أي: استظهار ما تقرر، وما دار بينهما من شرح، والتلخيص له، وشرحه بين يديه ليصحح ما يراه جانحا عن الصواب. (التواتي، 2016، الصفحات 1/5-6)

- **حياته العملية ومؤلفاته:**

أ- حياته العملية: عمل التواتي في حقل التربية والتعليم أكثر من 46 سنة في مختلف الأطوار التعليمية، ودرس بجامعة عمار ثليجي بالأغواط كأستاذ مشارك أكثر من عشرين سنة، أشرف وناقش العديد من البحوث العلمية في اللغة والفقه رسائل ماجيستير ودكتوراه.

- كان عضو جمعية اللسانيين الخليليين.

- عضو اللجنة العلمية مجلة مجمع اللغة العربية. (التواتي، 2016، الصفحات 1/6-8)

ب- مؤلفاته: للشيخ عدة مؤلفات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (التواتي، 2016، الصفحات 1/6-8)

1-دكتوراه الدولة، موضوع الأطروحة: " القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي" بدرجة مشرف جدا

2-موسوعة فقهية " المبسط في الفقه المالكي بالأدلة" 5 مجلدات، طبع مؤخرا في دار الفكر لبنان.

3-الأخفش الأوسط وآراؤه النحوية

4-الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين 20 جزءا. رغم تقدم الشيخ في السن لا يزال عطاؤه مستمرا تأليفا وتعليما، وهي بركة يهبها الله لمن شاء من عباده الذين اصطفاهم لحفظ كتابه وسما ورسما، وتفسير آياته مشافهة وخطا.

2.2 التعريف بتفسير "الدر الثمين": وسم التواتي تفسيره ب" الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"، كما أخبر بذلك عن سبب تسميته في مقدمة تفسيره حيث قال: "...وذلك لأني جست في كتب التفسير القديمة والحديثة فأخذت ما فيها من درر ومعان ومفاهيم عميقة أثبتها في هذا التفسير..." (التواتي، 2016، صفحة 1/32)

يقع هذا التفسير في عشرة مجلدات، صدر عن دار الحكمة في أول طبعة له سنة 1437هـ-2016م.

وعلى عادة أكثر المفسرين، صدر التواتي تفسيره بمقدمة تكلم فيها عن قضايا تتعلق بمنهج التفسير، وعلوم القرآن. وقد ذكر أنه اعتمد في إنجاز تفسيره هذا على أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري وابن كثير، اللذين جعلهما عدته، إضافة إلى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وتفسير ابن عرفة، التي ذكر أنها لم تفارقه طيلة انقطاعه لهذه المهمة. وغير ذلك من الكتب التي اعتمدها، حيث ذكر بأن عددها أكثر من مائتين وخمسين كتابا تناولت القرآن وعلومه، منها مائة وعشرين تفسيرا. (التواتي، 2016، الصفحات 30-29/1)

وهكذا، شرع التواتي يفسر القرآن آية آية، ويقف معها تأصيلا وتحليلا وتفريعا، حتى خرج على هذا النحو الفذ الجامع بين الأثر والنظر، زيادة على ما حوى من اللطائف التربوية واللمسات البيانية، والصبغة الاجتماعية التي تسعى إلى الإصلاح ومعالجة واقع الناس بالقرآن الكريم.

3. معالم التجديد في تفسير "الدر الثمين":

1.3 تعريف التجديد والتفسير لغة واصطلاحا:

أ- التجديد لغة واصطلاحا:

- **تعريف التجديد لغة: يقول ابن فارس:** جددت الشيء فهو مجدود وجديد، أي: مقطوع. (ابن فارس، 1979، صفحة 407/1)

وورد في لسان العرب: الجدة نقيض البلى، يقال: شيء جديد... وجد الثوب والشيء يجد بالكسر، صار جديدا، وهو نقيض الخَلِق... وسمي الليل والنهار: الجديدان لأنهما لا يبليان. (ابن منظور، 1414هـ، صفحة 111/3)

من خلال هذه المعاني اللغوية يتضح لنا أن كلمة التجديد تدور معانيها حول القطع، وحول طروء البلى على الشيء ثم عودته إلى ما كان عليه من الجدة. فهذا يسمى تجديدا.

- تعريف التجديد اصطلاحا:

إن مصطلح التجديد نجده في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :"إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا" (أبو داود، د.ت، صفحة 109/4)

*يعرف العلقمي التجديد فيقول:" مَعْنَى التَّجْدِيدِ إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرُ بِمُقْتَضَاهُمَا" (العظيم آبادي، 1415، صفحة 260/11)

*وعرفه بسطامي محمد سعيد بقوله: " تجديد الدين هو إحياؤه وبعث معالمه العلمية والعملية، التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف" (بسطامي، 1433 هـ، صفحة 28)

بناء على هذين التعريفين لمصطلح التجديد نلحظ أن التجديد لا يقصد به إحداث القطيعة مع كل ما هو قديم، وإنما بعث وإحياء ما جاء في نصوص الكتاب والسنة والعمل بما فيهما.

ب- **التفسير لغة واصطلاحا:**

- تعريف التفسير لغة : تدور مادة " فسر" حول معنى البيان والكشف والوضوح. قال ابن فارس: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه." (ابن فارس، 1979، صفحة 504/4)
- تعريف التفسير اصطلاحا:

تعددت تعريفات العلماء للتفسير، أكتفي بذكر اثنين منها:

الأول: ماذكره الزرقاني حيث قال: "والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية (الزرقاني، د.ت، صفحة 2/ 3)".

الثاني: ما اختاره التواتي في مقدمة تفسيره. (التواتي، 2016، صفحة 1/ 13) وهو تعريف الزركشي حيث يقول: :" التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ" (الزركشي، 1376هـ، صفحة 1/ 13)

2.3. مفهوم التجديد في التفسير: يقصد بالتجديد في التفسير : " إحياء معاني القرآن الكريم، ببيانها للناس، ونفي كل دخيل عنها، واستلهام آياته وهدايته في كل ما يعترض حياتنا، وما يمس العقيدة والأخلاق، أو يدخل في بناء مجتمعاتنا، وسياساتنا واقتصادنا، بما يكشف وفاء القرآن بحاجة البشرية" (إبراهيم شريف، 2008، صفحة 89)

ويقول صلاح الخالدي: " نعني بالتجديد في التفسير: التجديد الصحيح السليم، المنضبط بالضوابط العلمية، الملتزم بالأسس المنهجية، التجديد القائم على الإبداع والتحسين والجدة، والاستفادة من العلوم والمعارف والثقافات المعاصرة، وتوسيع أبعاد معاني الآيات القرآنية، وإحسان تنزيلها على الواقع الذي تعيشه الأمة، والعمل على حل مشكلات الأمة على هدي حقائق القرآن (الخالدي، 2008، صفحة 45) ".

على ضوء هذين التعريفين، يمكن القول أن التجديد في التفسير يقصد به: **حسن توظيف الآيات القرآنية في علاج واقع البشرية من خلال إحياء معانيها في تفاصيل الحياة مع مراعاة الأسس المنهجية المتعلقة بعملية التفسير.**

3.3. مظاهر التجديد في تفسير الدر الثمين:

* **ضابط التجديد في تفسير الدر الثمين:** يعتبر تفسير التواتي من التفاسير الحديثة المواكبة لمتطلبات هذا العصر، و لا أدل على ذلك من تسميته. حيث سماه مؤلفه ب: "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" فهو بحق يحوي من الدرر والكنوز المستوحاة من كلام الله تعالى ما فيه هداية للبشر وإصلاح لأحوالهم. ومن هنا كانت الضرورة ملحة لإعطاء نفس تجديدي في العملية التفسيرية مع مراعاة ضوابط التفسير. إذ ليس كل من ادعى التجديد يقبل ادعاؤه. لذلك نرى التواتي قد أصل هذه الضوابط في مقدمة تفسيره حيث عقد عنوانا سماه:

-**عدة المتصدي للتفسير**: وبين أنه ينبغي على المفسر أن يكون ملما بها حتى يقتحم مضمار تفسير القرآن الكريم، فذكر منها: (التواتي، 2016، صفحة 16/1)

1. علم اللغة، والعلم بلغات العرب أيضا.
2. معرفة الكلمات العربية من جهة إفرادها وتراكيبها ويؤخذ هذا من علم النحو.
3. علم البلاغة الذي يدرس المعاني والبيان والبديع.
4. علوم الحديث.
5. علم أصول الفقه.
6. علم القراءات وتوجيهها.
7. علم الناسخ والمنسوخ.

إن هذه العلوم التي أصلها التواتي لمن يريد أن يتصدى لتفسير القرآن الكريم هي عمدة كل من ينادي بالتجديد في التفسير. وإلا فكيف يكون مجددا في فهم كلام الله تعالى من لم يستجمع هذه الأدوات؟

إن التجديد في التفسير لون من ألوان الاجتهاد و التفسير بالرأي. ولا يخفى ما يلزم من استصحاب هذه الأصول في العملية التفسيرية. حيث نجد التواتي في سياق آخر من مقدمة تفسيره يقول: " فمن فسر القرآن برأيه أي: باجتهاده ملتزما الوقوف عند هذه المآخذ معتمدا عليها فيما يرى من معاني كتاب الله، كان تفسيره

سائغا جائزا خليقا بأن يسمى تفسيرا، يكون تفسيرا جائزا ومحمودا، ومن حاد عن هذه الأصول، وفسر القرآن غير معتمد عليها كان تفسيره ساقطا مرذولا خليقا بأن يسمى التفسير غير الجائز أو التفسير المذموم." (التواتي، 2016، صفحة 20/1)

- **التجديد في منهج التفسير عند التواتي:** إن المتصفح بتمعن لتفسير "الدر الثمين" يلحظ هذه الميزة التجديدية في ثنايا تفسيره. والتي يمكن ذكرها في النقاط التالية:

1. **توظيف التفسير الموضوعي وحسن المزاوجة بينه وبين المنهج التحليلي والإجمالي**: فنجد التواتي يعمل منهج التفسير الموضوعي ومنهج التفسير التحليلي ومنهج التفسير الإجمالي.

فعلى سبيل المثال: وهو يفسر سورة الأعراف: نجده يذكر ما يتعلق بالسورة من مكيها أو مدنيها ووجه تسميتها وما حوته من أغراض ومقاصد، ثم يشرع في التفسير مقسما الآيات القرآنية إلى مقاطع بعناوين تجمعها على طريقة التفسير الموضوعي. (التواتي، 2016، صفحة 212/9)

ليشرع بعد ذلك في بيان المعاني الإجمالية التي حواها المقطع. ثم يعقد عناوين منها: بين يدي النص القرآني. و المعنى الإجمالي للآيات. (التواتي، 2016، صفحة 212/9و 214)

. و يعمد الشيخ إلى التفسير التحليلي للآيات مبينا الجوانب اللغوية والبلاغية، وأصول الفقه وغيرها. التي يمكن توضيحها كالآتي:

- التحليل اللغوي: فمثلا في سورة الأنفال عند تفسير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال:24]. شرح كلمة "استجيبوا" لغويا فقال: أجابه وأجاب عن سؤاله، والمصدر الإجابة، والاسم الجابة، بمنزلة الطاقة

والطاعة. تقول: أساء سمعا فأساء جابة، والمجاوبة والتجاوب: التحاور. وتقول: إنه لحسن الجيبة (بالكسر) أي الجواب. (التواتي، 2016، صفحة 48/10)

- التحليل النحوي: مثاله ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا} [الأنفال:31] قال: كلمة لو: تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، فقوله تعالى: {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا} يدل على أنه ما شاء ذلك القول وما قال. (التواتي، 2016، صفحة 64/10)

- مسألة أصولية: إذا عرض للشيخ في ثنايا التفسير المسائل الأصولية، فإنه يتطرق إليها . مثال ذلك: ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: {إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب} [البقرة:174]قال: هذه الآية مشتملة على مسائل من صميم علم أصول الفقه: منها :(التواتي، 2016، صفحة 244/3)

- أنها دلت على تحريم الكتمان لكل علم في باب الدين يجب إظهاره...

- ومنها العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب...

* توجيه وإرشاد: عند الانتهاء من التفسير التحليلي للمقطع القرآني أو الآية المراد بيانها، يختم التواتي - في الغالب- بتوجيه فيه تبصرة ونصيحة وإرشاد للمسلم لما فيه خير له في دنياه وآخرته. مثال ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: {فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا } [النساء: 62]، يقول مرشدا وموجها: ولعلكم لاحظتم كيف أن الله تعالى يقدم الإرشاد تلو الإرشاد، والنصيحة عقب النصيحة، وفتح باب الأمل لعباده ليتوبوا، حتى لا يقنطوا من رحمة الله، وأنه يقبل التوبة، لكن قست قلوبهم وضلوا عن سواء السبيل ...(التواتي، 2016، صفحة 164/7)

إن الميزة التجديدية الملموسة هنا هي أن التواتي قد أحسن توظيف منهج التفسير الموضوعي، وأبدع في المزاوجة بينه وبين مناهج التفسير الأخرى من خلال المنهجية المحكمة التي سلكها. إن هذا الأمر جعل تفسير "الدر الثمين" أكثر تعاطيا

مع عطاء القرآن المتجدد الذي يُصلح كل زمان ومكان. يقول مصطفى مسلم:" لا يمكن أن نجابه مشكلات العصر ومعطيات الحضارة إلا بأسلوب الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم أو بأسلوب (التفسير الموضوعي). (مسلم، 1421هـ، صفحة 31) ومن أدق الأمثلة على ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: 144[

أبدع التواتي في ربط هذا النص القرآني بمعالجة مشكلات العصر التي يحياها، إذ هو الثمرة من التفسير الموضوعي حيث قال:" ...أما الآن وقد ذكرنا أن النص القرآني يخاطب الناس جميعا على اختلاف عصورهم فما بال البعض منا يبتغون العزة عند الغرب اللعين، والاستقواء بأعداء الإسلام على المسلمين، وكأن هذا النداء القرآني لا يعني لهم شيئا... فهذه رسوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم شوهت صورة الرسول الأعظم ازدراء به، واحتقارا للمسلمين، ولا غيرة من هؤلاء- قد تغضب الشعوب، تدفعها عاطفتها وحبها لنبيها صلى الله عليه وسلم- لكن أين غضب حكامها وقادتها؟ هل احتجوا وقاطعوا من تعرض لنبيها صلى الله عليه وسلم؟ بل إن أصحاب القرار في الأمة المسلمة يزدادون حبا ووثوقا بالكفار وطلب العزة عندهم ولا حول ولا قوة إلا بالله." (التواتي، 2016، صفحة 367/7)

- **الاهتمام بإبراز الوحدة الموضوعية:** إن القارئ لتفسير " الدر الثمين" يلمس هذا البعد التجديدي في تفسير آيات القرآن الكريم، إذ أن القرآن بناء متكامل هدفه الأسمى تحقيق مقصد الهداية والصلاح للبشرية، ولا يتم ذلك إلا بفهمه فهما كليا في ضوء وحدة موضوعية تعتبر القرآن الكريم وحدة واحدة متماسكة، لا يتم فهم بعضها إلا بفهم جميعها، كما أن السورة كلها أساس في فهم آياتها،

والموضوع فيها أساس لفهم جميع النصوص التي وردت فيه .(البهي، د. ت، صفحة 155)

من الأمثلة الدالة على ذلك: عند تفسيره لأحد مقاطع سورة النساء من قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ... إلى قوله تعالى: ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا} [النساء:58-70]

بدأ بذكر وجه الاتصال بين الآيات مع بعضها البعض فقال: "لما ذكر الله حال اليهود وما هم عليه من الحسد والعناد والجحود، وذكر ما أعده لهم من العذاب والنكال في الآخرة، أعقبه بتوجيه المؤمنين إلى طريق السعادة بطاعة الله ورسوله وأداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس، ثم ذكر صفات المنافقين التي ينبغي التحرز منها والحذر والبعد عنها. والنص القرآني في عمومه يشير إلى أن هذه الأمة التي أنشاها القرآن خطط لها وثبت لها ملامح وجود ذات منهج إسلامي، في تكوينها واتجاهها...وهذا النص القرآني يتولى بيان وتوضيح هذا النظام الأساسي، القائم والمنبثق من التصور الإسلامي لبيان معنى الإيمان وحد الإسلام.... ". (التواتي، 2016، الصفحات 7/138-139)

إن هذا الطرح من التواتي ينبه إلى مسألة دقيقة هي اعتبار القرآن الكريم نسقا متكاملا وبناء شاملا لا يفهم بعضه إلا بفهم كله، ومن ثم نجد أن التواتي هنا قد راعى جانب السياق الذي وردت فيه الآيات المراد بيانها في إشارة واضحة إلى الاهتمام بإبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم .

- **إعادة النظر في بعض المرويات التفسيرية والحديثية:** من اللمسات التجديدية في تفسير التواتي، تفادي الروايات الضعيفة والتنبيه عليها حال ذكرها .

- مثال ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: {فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون} [الصافات: 142-144 .[

قال التواتي: ثم استنقذه الله من بطن الحوت بعد مدة ، واختلف المفسرون في هذه المدة (التواتي، 2016، صفحة 173/16) :

فقالت فرقة: بعد ساعة من النهار

وقال مقاتل بن حيان: بعد ثلاثة أيام

وقال عطاء بن أبي رباح: بعد سبعة أيام

ثم عقب فقال: وهذه أقوال اجتهادية من أصحابها إلا أن الدليل يعوزها فلذلك نقول: إن المدة لم يذكرها القرآن ولم تأت الإشارة إليها من سنة صحيحة.

وبالنسبة للمرويات الحديثية فلا يوردها الشيخ أثناء التفسير دون تمحيص بل يعقب عليها.

مثال ذلك: ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: { وقفوهم إنهم مسئولون} [الصافات: 24]. حيث قال: وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا تزول قدما عبد حتى يسأل يوم القيامة عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به". ويعقد الشيخ عنوانا سماه: تحقيق الحديث: يقول فيه: أخرجه الطبراني في الأوسط... وفي إسناد الطبراني الحارث بن محمد الكوفي ويقال له: المعكوف، قال صاحب الميزان: أتى بخبر باطل، وباقيهم ثقات. وأخرجه الترمذي قال: هذا حديث حسن صحيح .(التواتي، 2016، صفحة 121/16)

ففي هذه النماذج نلمس البعد التجديدي الرامي إلى غربلة التفسير مما شابه من الضعيف من الروايات التي قد تُبنى عليها أفهام تتلقاها العقول بالقبول وهي باطلة من الأساس. وهذا ما نبه عليه التواتي من أن الدليل الصحيح من القرآن والسنة هو الفيصل في القبول والرفض، ولذلك لا يمر على هذه المرويات دون تمحيص وتحقيق.

• **تجنب بسط قضايا علم الكلام والميل إلى الفقه الجامع في المسائل الخلافية :**

- من أمثلة ذلك: ما نبه عليه وهو يفسر قوله تعالى: {وقَالَتِ اليَهودُ يَدُ الله مَغلُولَة} [المائدة:64] حيث يقول: ليس من عادتي في هذا التفسير التطرق إلى المسائل الخلافية في العقيدة بين المعتزلة وجمهور علماء الإسلام، ولولا أن أحدهم بادرني بسؤال عن هذا الموضوع لما تطرقت إلى هذه المسألة، وتجدني أميل في هذا التفسير إلى التفسير بالمأثور معتمدا على ما ذكره المفسرون الكبار من أمثال الطبري والرازي والقرطبي وابن الجوزي وغيرهم من الأعلام المشهورين ...(التواتي، 2016، صفحة 174/8)

- ومن الأمثلة كذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5]

يقول التواتي: تنبيه هام: "ولا نشتغل بالتأويل بل نقطع بأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة، لأننا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت تأويلات الباطنية، فلنترك تأويل الآية لمن أولها إن أصاب فله أجر من الله تعالى، وإن أخطأ فنسأل الله له الهداية ."(التواتي، 2016، صفحة 17/13)

إن هذا التعامل مع الآيات القرآنية من التواتي الذي يُعرض عما لا يعود على القارئ بكبير فائدة من المسائل الكلامية، والإيغال في ذكر مقولات المتكلمين، لهو عين التجديد المنشود في علم التفسير الذي يرنو إلى إبراز الجوانب العملية التي لها أثر في الواقع.

4.3. تفسير القرآن الكريم وفق مقتضيات الواقع وعصر المؤلف:

- **تنزيل النصوص على الواقع في تفسير "الدر الثمين":**

من مظاهر التجديد عند التواتي في تفسيره عدم توقفه على ما نقله أئمة التفسير من أقوال في تفسير الآيات القرآنية، بل نجده ينزل النص على الواقع ويربط بين ما تحمله الآيات من دلالات، وما يحياه في واقعه المعيش.

وهذا الأمر قد أشار إليه بعض العلماء كابن القيم، في بيان ما ينبغي أن يستصحبه الفقيه والمفتي والمفسر للقرآن الكريم. حيث يقول:" ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه." (ابن القيم، 1411هـ، صفحة 1/ 69)

إن الثمرة المرجوة من وراء إعمال العقول في فهم النصوص الشرعية التي على رأسها القرآن الكريم، هي التوصل إلى فهوم تستجيب لما يريده العقل المسلم من إجابات لإشكالات عصره في ضوء كلام الله تعالى، وهذا هو عمل المفسر، إذ غايته تنزيل هذه النصوص على واقعه، والإجابة على مشكلاته.

- من أمثلة ما ورد في تفسير التواتي عن ربطه للنص بالواقع:

ما ذكره في تفسير سورة الأحقاف، عند قوله تعالى: { وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [الأحقاف:15]

يقول التواتي:" الآية وواقع بعض الناس: " إن الآية التي نحن بصدد تفسيرها تذكير من الله تعالى بما تكابده الأم من مشاق أثناء التربية وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا، ليتذكر الولد إحسانها المتقدم إليه، لكن للأسف الشديد بلغنا أن كثيرا من الناس تجاهل هذا الخطاب الإلهي: فكم من إنسان رمى أمه في دور العجزة وأصبحت غريبة لكونها أصبح لها تصرفات أزعجت زوجته فرماها حيث رمى. ياله من عقوق وأي عقوق؟ أترمى الأم في دار المسنين؟ أترمى قرة العين ومهجة الفؤاد في دور الرعاية؟، أترمى من جعلت بطنها لك وعاء، وصدرك لها غذاء؟..." (التواتي، 2016، صفحة 474/17)

إن ربط النصوص القرآنية بما فيه أثر عملي يعود على تدين المسلم بفائدة في الدنيا والآخرة هو ما ينبغي أن يراعيه المتصدي لتفسير القرن الكريم. إذ القصد من التجديد في التفسير هو تجاوز التعاطي مع آيات القرآن الكريم وفق الخلفيات الفكرية لأصحابها من أهل النحو وعلماء الكلام وغيرهم.. إلا بقصد البيان وعلى قدر الحاجة، بغية التوصل إلى معان عملية تجعل من القرآن واقعا ملموسا قريبا من تفاصيل الناس الحياتية. وهذا الأمر هو الذي لمحناه في تفسير التواتي كمظهر من مظاهر التجديد في العملية التفسيرية.

- الاهتمام بالإعجاز العلمي في التفسير:

من ملامح التجديد في تفسير التواتي وهو يتعامل مع الواقع؛ عدم إغفاله الحديث عن الحقائق العلمية التي سبق إلى بيانها القرآن الكريم ولم يكتشفها

العلم الحديث إلا في العصور المتأخرة. وهي سمة تجديدية تعطي للقرآن روحا مواكبة لمتطلبات العصر.

- فمن أمثلة ذلك: عند تفسير قوله تعالى: { لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40]

قال التواتي: لا يتيسر ولا يصح للشمس أن تسرع في سيرها إلى أن تدرك القمر بل هي بطيئة السير بحيث تقطع البروج الاثني عشر في سنة والقمر سريع السير يقطعها في شهر، ولا يسع الليل ولا يتيسر له أن يسبق ويدخل في النهار بل لكل منهما مدة مخصوصة مقدرة من لدن العليم الخبير ... ومجمل القول: إن هذه الآيات الكريمة تبين معاني وحقائق علمية لم تكن معروفة لدى الإنسان قديما، ولم يعلمها العلماء الباحثون إلا في القرون المتأخرة .(التواتي، 2016، الصفحات 62-61/16)

إن إبراز الإعجاز العلمي في التفسير مظهر مهم من مظاهر التجديد، كونه يلامس مستجدات الإنسان اليومية خصوصا في الجانب العلمي والاكتشافات الحديثة، مما يجعل القرآن متعاطيا معها من جهة. ومن جهة أخرى؛ يسهم في تحقيق مقصد الهداية الذي نزل القرآن الكريم، وبُثت هذه الحقائق العلمية فيه من أجلها .

وبالتالي يمكن القول أن التواتي يريد أن يمنح للعملية التفسيرية نفسا تجديديا، من خلال إفادته مما يكشفه العلم الحديث من حقائق سبق إليها القرآن الكريم، وهو ما يفسر انفتاحه على الواقع وعلى علومه وثقافته المتجددة باستمرار، فكان لهذا الانفتاح أثر في التفسير مما ساعد على الفهم الأمثل والمتجدد لكلام الله تعالى، ومنحه أفقا رحبا في امتداداته الزمانية والمكانية عبر العصور.

4. خاتمة

1. التجديد سنة ماضية في الدين، ودليل ذلك إشارات القرآن الكريم إلى إعمال العقول لاستنطاق النصوص القرآنية بغية استخراج هدايات تنفع المتعامل مع كلام الله تعالى في تدينه وسلوكه وطريقة تفكيره.

2. التجديد في التفسير ضرورة ملحة في هذا العصر لمواكبة المستجدات التي تعترض واقع الناس.

3. الشيخ التواتي من المجددين في العملية التفسيرية من خلال تفسيره الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين.

4. قرر التواتي أن المتصدي للتفسير لا بد له من ضوابط منهجية حتى يفسر القرآن الكريم ومن ثم يقدر على التجديد في بيان معانيه.

5. تجلت مظاهر التجديد في التفسير عند التواتي في جوانب أهمها:

- التجديد في منهج التفسير من خلال:

- توظيف التفسير الموضوعي وحسن المزاوجة بينه وبين مناهج التفسير الأخرى
- الاهتمام بإبراز الوحدة الموضوعية
- إعادة النظر في بعض المرويات التفسيرية والحديثية.
- تجنب بسط مسائل علم الكلام والميل إلى الفقه الجامع في المسائل الخلافية.

- التعامل مع الواقع في ضوء القرآن الكريم، بحسن تنزيل النصوص عليه. وكذا إبراز جانب الإعجاز العلمي فيه.

5. قائمة المراجع:

أحمد أب ن، المحرر) دار الفكر.

– أبو بكر شمس الدين ابن القيم. (1411ه). *إعلام الموقعين عن رب العالمين* (الإصدار ط 1). (ت: محمد عبد السلام إبراهيم، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

– أبو عبد الله بدر الدين الزركشي. (1376ه). *البرهان في علوم القرآن* (الإصدار ط 1). (ت: محمد إبراهيم أبو الفضل، المحرر) دار إحياء الكتب العربية.

– بن التواتي التواتي. (2016). *الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين* (الإصدار ط 1). الجزائر: دار الحكمة.

– سليمان بن الأشعث أبو داود. (د.ت). *سنن أبي داود*. (محي الدين عبد الحميد، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.

– صلاح عبد الفتاح الخالدي. (2008). *تعريف الدارسين بمناهج المفسرين* (الإصدار ط 3). دمشق: دار القلم.

– محمد إبراهيم شريف. (2008). *اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم*. القاهرة: دار السلام.

– محمد أشرف العظيم آبادي. (1415). *عون المعبود شرح سنن أبي داود* (الإصدار ط 2). بيروت: دار الكتب العلمية.

– محمد البهي. (د. ت). *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي* (الإصدار ط 4). القاهرة: مكتبة وهبة.

– محمد بن مكرم ابن منظور. (1414ه). *لسان العرب* (الإصدار ط 3). بيروت: دار صادر.

– محمد سعيد بسطامي. (1433 ه). *مفهوم تجديد الدين* (الإصدار ط 2). السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

– محمد عبد العظيم الزرقاني. (د.ت). *مناهل العرفان في علوم القرآن* (الإصدار ط 3). مطبعة عيسى البابي الحلبي.

- مصطفى مسلم. (1421ه). *مباحث في التفسير الموضوعي* (الإصدار ط 3). دمشق: دارالقلم.
- و الحسين ابن فارس. (1979). *مقاييس اللغة*. (ت: عبد السلام هارو